

التبيان في تفسير القرآن

(151) داعيا إلى الله، ودعاؤك يا محمد وأنت مثلهم بشر ومن قبيلتهم إنك نبي، وليس لهم ذلك، لأن الله يجتبي لرسالته من يشاء على حسب ما يعلم من قيامه بأعباء الرسالة وتحمله لها، فاجتباك الله تعالى كما اجتبي موسى ومن قبلك من الأنبياء، ومعنى (يجتبي) يختار. وقوله (ويهدي إليه من ينيب) معناه ويهديه إلى طريق الثواب ويهدي المؤمنين الذين أنابوا إليه وأطاعوه. وقيل: يهديه إلى طريق الجنة والصواب بأن يلفظ له في ذلك إذا علم أن له لطفًا، ثم قال (وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) ومعناه إن هؤلاء الكفار لم يختلفوا عليك إلا بعد أن اتاهم طريق العلم بصحة نبوتك، فعدلوا عن النظر فيه بغيا بينهم للحسد والعداوة والحرص على طلب الدنيا وإتباع الهوى. وقيل: إن هؤلاء لم يختلفوا إلا عن علم بأن الفرقة ضلالة، لكن فعلوا ذلك للبغي. ثم قال (ولولا كلمة سبقت من ربك) بأن أخبر بأنه يبعثهم (إلى أجل مسمى) ذكر أنه يبقئهم إليه لم يجر مخالفته، لأنه يصير كذابا (لقضي بينهم) أي لفصل بينهم الحكم وانزل عليهم ما يستحقونه من العذاب عاجلا. ثم قال (وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) قال السدي: يعني اليهود والنصارى من بعد الذين أورثوا الكتاب الذي هو القرآن (لفي شك منه مريب) أي من الدين. وقال غيره: الذين أورثوا الكتاب من بعد اليهود والنصارى في شك من الدين مريب، وهم الذين كفروا بالقرآن وشكوا في صحته وأنه من عند الله من سائر الكفار والمنافقين. وقوله (فلذلك فادع واستقم) معناه فالى ذلك فادع، كما قال (بأن ربك أوحى لها) (1) أي أوحى إليها يقال دعوته لذا وبذا وإلى ذا. وقيل: (1) سورة 99 الزلزال آية 5